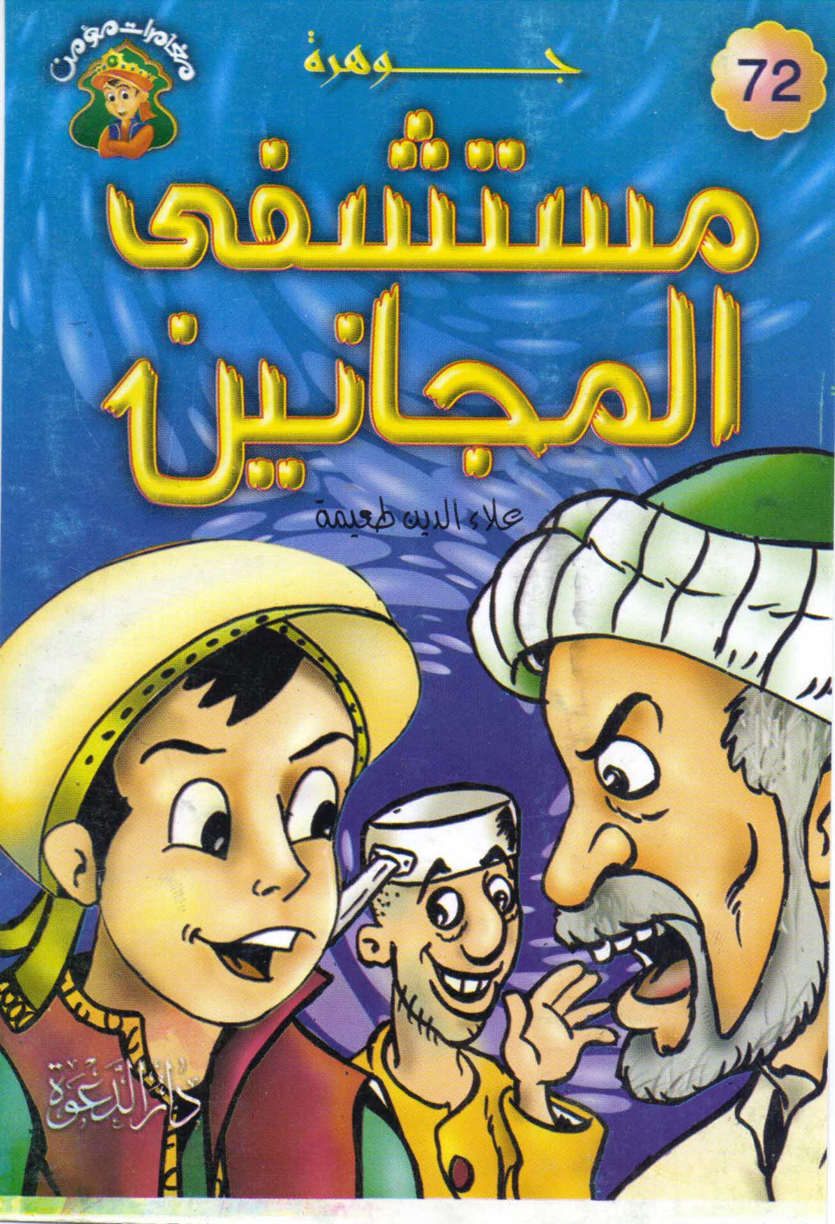


مغامرات مؤمن
72
جوهرة
مستشفى المجانين
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة





- أغرب الرحلات
- تجمع بين المتعة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت



٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

٠٣/٣٩٠٧٩٩٨

مغامرات عجيبة جداً

جوهرة مستشفى المجانين

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانونى: ٢١٨٩ / ٢٠٠٦م
الترقيم الدولى: 3 - 386 - 253 - 977

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائى أو تليفزيونى أو إذاعى أو مسرحى أو شرائط فيديو أو (C.D) إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

تليفون المؤلف: ٠١٢/٢٧٨٢٩٦٤ - ٠٣/٤٢٦٣٩٨٠

مغامرات مؤمن

جوهرة مستشفى المجانين

تأليف:

علاء الدين طعيمة

رسوم

عبد الرحمن بكر





مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر فى رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفى كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان- يفلح فى إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

ها هو مـؤمن يتنقل بين البلاد.. تحـمله جبـال وترفق به وهاد.. يلتحف الليل ويكتسي بالنهار.. تـبتلعه المغامرات.. تصـاحبـه الغـربة.. تأنس به الوحشـة.. تتـعلم منه الأيام.. مؤمن.

ذات مرة بينما يمارس مغامراته.. نال منه التعب على مشارف مدينة غريبة لم يمر بها من قبل.

رأى من على بُعـد أسوارها ومـساجـدها ومبـانيهـا، وظن أن بهـا حضـارة تليدة.. فـالترع تشـقهـا فى تنظيم بديع والخضرة تحيط بتلالهـا، مما شجعه على أن يستلقى على الخضرة واضعًا راحتيه خلف رأسه متأملاً فى إبداع الله تعالى الذى خلق السماء بغير عمد.

كان السحاب الأبيض الهش يجوب السماء من جهة لأخرى وهو مستسلم للراحة.. يتعجب مسبحًا الله من قدرته. فى حين دنا منه رجل سمين من أهل المدينة.. واستغربه فى موضعه، فاقترب منه وجلس بجانبه متساءلاً.. لماذا يجيل ويطيل ببصره فى صفحة السماء؟

- أنت يا هذا؟

لم يتمكن مؤمن من مقاومة الفكرة التى بدأت تصارع عقله، فإما يغلبها أو تغلبه، فلم يعر ضيفه انتباهه سوى أن قال وهو مازال شاردًا:

- ماذا؟ هل تكلمنى.

- ما الذى تراه فى السماء يا ترى؟

- سبحان الله.. انظر مثلى وأنت ترى ما أراه.

- أنا أرى سحابًا وقرص شمس وطيوراً متفرقة.

- لكن أنا أرى غير ذلك.

- ترى غير ذلك؟

اقترب الرجل من مؤمن وانحنى فوقه وهو يتفحصه بشدة وقال:

- أخبرنى ماذا ترى.. أخبرنى.

- هل تعرف يا أخى.. وحق الذى جمع بيننا بغير ميعاد ولا سابق معرفة.

- ها...

- إن الأرض لتدور.

- تدور؟.. الأرض تدور؟!

- انظر.. انظر.. هل تظن أن السحاب هو الذى يدور حولنا؟.. لا بل نحن الذين ندور.

- يا الله.. جميل.. أنت رائع.. الأرض تدور!!.. ونحن فوقها ثم لا نقع عندما نكون فى الأسفل.

- صدقنى يا أخى.

قالها مؤمن وهو ينهض معتدلاً مواجهًا السمين الساخر:

- ألست معى أن الأرض تدور.

نظر السمين إليه نظرة التوجس والسخرية معًا.. ظن أن بمؤمن جنونًا.. فأخذ يعامله على هذا النحو:

- أ.... نعم نعم.. أنت محق.. من قال إن الأرض لا تدور.. أخبرنى يا صديقى.. الصغير.. هل تود أن تكون ضيفًا علينا فى مدينتنا.

- لا.. بل أنا أنعم ببعض الراحة على أسوارها، ثم سأكمل طريقى إلى مصر.

- أأنت من مصر؟.. إذًا لابد أن تنعم بواجب ضيافتنا لك. اسمع اسمع، ابق هنا وسأدخل أنا المدينة ثم أرجع لك ببعض الطعام الطازج والشراب اللذيذ.. إنه.. إنه تذكار تحمله معك من مدينتنا الحبيبة.

لم ينتظر السمين حتى يسمع رد مؤمن.. بل أشار له بيديه أن يبقى واندفع، يجرى يهز الأرض تحته من ثقل وزنه، وشعر مؤمن بالغبطة من شدة كرم أهل هذه المدينة.. وعاد من جديد يستلقى على ظهره يجول فى السماء ببصره يؤكد لنفسه أن من الجائز أن تكون الأرض متحركة كالكرة تدور بالرغم من أن عصره لم يشهد بعد اكتشاف نظرية دوران الأرض أو كرويتها.

كان الجو جميلاً والنسيم يبعث على الاسترخاء.. فأغمض عينيه مستسلمًا لشعور الراحة الذى امتزج بالطبيعة الساحرة.. وبعد قليل أحس كأن أنفاسًا تتردد حوله.. وفتح عينيه ليجد مضيفه الكريم ومعه أربعة رجال أشداء يلتفون حوله ويحملقون بدهشة فى محياه البرىء.. فاعتدل بحرص وهدوء وهم بالنهوض فانكبوا

عليه؛ أحدهم على صدره والآخر يمسك بقدميه والثالث يلف حبلاً حوله والرابع يحول دون وصول يديه إلى سيفه والخامس يساعد الثالث فى إحكام تقييده بالحبل الغليظ.

وساروا به نحو أسوار المدينة.. وفتح لهم بابها العملاق، وساروا يطوفون به فى الشوارع حتى أن الناس التفوا حولهم وتبعوهم إلى مخفر الشرطة، وهناك مثل مؤمن بين يدى صاحب الشرطة غليظ الشارب كث اللحية ضيق الجبهة والأفق:

– ماذا جنيت بالله عليكم حتى تحملونى على ذلك؟

تحرك صاحب الشرطة ودنا منه حتى انحنى أمامه ووضع عينيه فى عينيه ونظر كأنه يفحص مريضًا ثم قال وهو على ذلك الوضع:



- هل تقول يا غلام إن الأرض تدور حول نفسها؟

- تكلم يا غلام وأجب عن سؤالى.. هل تقول بأن الأرض التى نحيا عليها تدور وهى كروية الشكل.

تراجع مؤمن للخلف هربًا من حدة نظرات صاحب الشرطة ثم قال مبتسمًا:

- هى كروية وتدور والأمر لله تعالى..

استشاط صاحب الشرطة غيظًا وغضبًا ومد كلتا يديه الكبيرتين وأطبق بهما على وجه مؤمن حتى عصره تمامًا وهو يرغى ويزبد قائلاً:

-أيها الأحمق الصغير.. وماذا عندما يكون وجه الأرض التى نحيا عليها فى الأسفل وتصبح مدينتنا مقلوبة رأسًا على عقب؟ هه.. أجب.

وقبل أن يتفوه بكلمة دخل الغرفة شيخ عليه سيما

الأطبـاء وكان هو أيضًـا لا يخـتلف كـثيـرًا عن كل من رآهم.. فـرأسـه الصغـيـر الذى تتـدلى منه لحـيـة طويلة ونحيفه يهتز بلا اسـتقرار إلى الجانبين وعيناه تدوران فى محجريهما بلا أدنى داع:

- أخبرنى أيها الغلام.. أنا طبيب.. هه.. لا تخف منى.. هل تمزح بما يحب أن يمزح به الصبية فى عمرك.

تنهد مؤمن وقال بثقة:

- لا أمـزح يا سيـدى الطبيـب.. إنما هذا اعتـقاد.. فـقط مجرد اعتقاد.. ظن لم أصل إلى تحقيقه حتى الآن.

- إن الأرض تدور فى الفضاء؟!

- نعم تدور.. وسيأتى يوم يثبت فيه الإنسان أنها تدور.

- أخبرنى يا ولدى.. فى أى يوم نحن من أيام الأسبوع.

- الأربعاء يا سيدى.

- جـمـيل.. و.. وهل تعـتـقد أن المـرأة هى التى تلد أم الرجل.

- المرأة يا سيدى.

- ألست معى أننا نشرب اللبن الذى نحلبه من الدجاج.

- الدجاج يبيض يا سيدى واللبن نحلبه من الأغنام.

- يا إلهى.. أنت تـتـمـتع بعـقل راجـح.. لذا عليك أن تعتـرف بأنك كاذب مـحتال فـيمـا ادعيت عن دوران الأرض.

- لم أعتـرف بما لم أفعله.. أنا لم أكذب أو أحـتال على أحد.

- ما دمت مصراً على افـترائك على الله هكذا.. فها هو السجل، وسأوقع فيه بأنك من الآن أصبحت نزيلا من نزلاء المستشفى حتى يشفيك الله تعالى.

- مستشفى؟!.. أية مستشفى؟

ضحك الطبيب وزاد اهتزاز رأسه الصغير وأصبحت لحيته كالبندول وهو يقول:

- مستشفى المجانين يا صديقى الصغير.. أخبرنى ما هو اسمك؟

اقتيد بطلنا مؤمن بالحراس الأربعة بعد أن جردوه من سلاحه، حيث وصلوا به إلى مبنى محصن كالسجن لا يختلف عنه فى شىء، عليه لافتة كبيرة كتب عليها «البيمارستان أو مستشفى المجانين» ولأول مرة فى حياته وهو من هو.. لم يخفق قلبه مثل هذا اليوم.. واعتراه خوف عظيم حتى أن أمعاءه لم تستقر على حال وشعر بمغص حاد.. ولم يتركوه مع ذلك ليستريح.. بل جروه جرًا عبر البوابة المدججة بالحرس والسلاح حيث وجد

بعض الممرضين فى استقباله، فسلمه لهم الحرس وغادروا ليقتاد من جديد عبر ممرات مظلمة رطبة لا تتخللها إلا شعاعات ضعيفة تتسلل عبر ثقوب وشقوق قديمة فى الجدران.

ووصل بهم إلى غرفة الكشف الأولى، حيث سأله بعض الأطباء نفس الأسئلة السابقة وأجابهم بنفس إجابته العنيدة، فمال أحد الأطباء على زملائه وقال لهم هامسًا:

- حالته من النوع الهادئ.. جنون من النوع الهادئ.

- وما أدرانا.. فقد يجن جنونه بعد قليل ويصبح من الخطرين.

- لا .. لقد قمت باستفزازه بطريقة تكفى لنزع الغضب منه ولكنه هادئ تمامًا.

- إذًا بماذا تنصحون.

- ننصح بأن يودع فى عنبر العلماء.

- العلماء؟.. هل تظن أنه من هذا النوع.

- نعم بلا شك هو جنون العلم.. فهو لا يختلف كثيراً عن نزلاء ذلك العنبر من العلماء الذين أفسد العلم عقولهم.

- أيها الممرضون.. اذهبوا به إلى عنبر العلماء.

لم يكن يسمع حوارهم عندما تهامسوا، وظن أن عنبر العلماء إنما هو اسم أطلقوه سخرية بأخطر عنابر المجانين.. لذلك قرر أن يقوم بمجازفة وهو فى الطريق إلى ذلك العنبر.. ولأنه موثوق بحبل يلف حول ذراعيه وصدره فقرر استعمال رجليه الحرتين.. جرى مسرعًا للأمام فجرى الأربعة خلفه مسرعين فتوقف فجأة

وباغتهم باستدارة سريعة، واستعمل حركات الدفاع عن النفس التى تعلمهـا من قبل فى مغامراتـه ببلاد الصين.. فـأخذ يطيـح بهم الواحد تلـو الآخر فـما اسـتطاعـوا له حيلة.. أوقعهم أرضًا وآلمـهم، وخرج الأطباء من حجرة الكشف على صـيـاحـهم، فـصـاحـوا بكل المـرضـين والحراس أن يمسكوا بالمجنون الهارب مؤمن.

أخـذ يجـرى بكل قـوته ويقـفـز من فـوق الجـدران مستعملاً رجليه بكل مهارة، وأصبح العدد الذى يطارده يزداد شيئًا فشيئًـا. ولكنه بارع حقًا فى المقاومة.. المقاومة التى تدرب عليـهـا طيلة عـمره السـابق.. إلا أن الجـرى خلف الأسـوار العتـيدة الشـاهقـة الارتفاع بلا منفـذ أو مخرج يحبط من عـزيمته ورغبته المستـمرة فى المقاومة.. فـفى النهـاية أحاطـوا به من كل جهـة، وأدرك أن قـوته

بالإضافة إلى شجاعته لن تجدى نفعًا مع كل هؤلاء الذين يحملون العصى والسيوف.. ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

استسلم لهم فقرروا أنه من النوع الخطير وأن جنونه لا يستهان به.. فحقنوه حقنة كبيرة فى ذراعه غاب على أثرها عن الوعى، ولم يدر ما فعلوه به حينما حملوه إلى عنبر الخطرين وألقوه على فراش طال ثم رحلوا.

وبالليل العميق بدأ يفيق من سباته ويفتح عينيه فلا يرى شيئًا سوى الظلام.. فقط الظلام المطبق.. تحسس نفسه والفراش، وأدرك أنهم قد حلوا وثاقه وأصبح حرًا.. لكن أين هو الآن؟

كان كل شىء هادئًا.. لكن الظلام المطبق دائمًا ما ينذر بالرعب والفزع.. فهناك شخير يأتى من هنا

وهناك بألحان نشاز متضاربة.. إذًا هو ليس وحده فى المكان.. تذكر ما حدث فى الصباح خطوة خطوة.. لكن فجأة صدر صوت صرخة حادة وعالية ومفزعة فهب من فراشه واقفًا متحسبًا لأى جديد.. لكن كل شىء عاد إلى هدوئه.. من الذى صرخ ولم؟.. وأين هو؟

لا مجيب.. جلس متربعًا يحدِّق فى الظلام بلا هدى.. وقلبه يوجب فى صدره من شدة الخوف.. فأصعب ما يواجه المرء من رعب أن يكون فى ظلام دامس بمكان لا يعرف معالمه مع مجانين لا يُسألون عما يفعلون.. لكن مع ثبات الهدوء وعدم حدوث شىء جديد بدأ يصبر على فزعه.. وما إن بدأ يمدد رجليه للأمام حتى اندلعت الصرخة مرة أخرى، فهب واقفًا

ولكن لا شيء يحدث بعد ذلك.. ظن أن أحدهم يرى كوابيس دائمة وإن رفاقه قد اعتادوا منه ذلك كل ليلة.. قال لنفسه ذلك الكلام فعاد إلى هدوئه متوقعًا أن يسمعها مرات أخرى بلا فزع أو هلع.

بعد وقت قليل شعر أن ملاءة الفراش الذى يستلقى عليه تُشد من كل جانب، وأحس بوقع حركة تحت السرير وأنفاست تردد كالوحوش المتربصة بالفريسة، وحاول أن يقفز من الفراش لكن طويت الملاءة فجأة من الجهتين، وشعر بأجساد ثقيلة تجثم على جسده.. صرخ وعبثًا حاول الخروج مما فيه لكنه لم يقدر.. وحدثت جلبة كبيرة فى العنبر وفيما يبدو أن كل ما فيه من مجانين أصبحوا فوق مؤمن الذى كاد يختنق من ثقلهم الكبير.

وفجأة انفتح الباب.. ودخل الممرضون العتاة وهم يحملون المشاعل والعصى والسياط، وألهبوا ظهور المجانين.. ثم أنقذوا مؤمن منهم وقاموا بإخراجه من العنبر.. كان يسير معهم ممتنًا بصنيعهم، وطلب منهم أن يضعوه ولو فى حبس منفرد.. لكن رئيس الأطباء حضر فى منتصف الليل وأراد أن يراه على انفراد.

كان رئيس الأطباء هادئًا متعقلاً.. وناقش مؤمن بروية ودون انفعال، وبعلمه الواسع أدرك أنه ليس مختلاً فى عقله ولا يعد من المجانين لكنه قال:

- اسمع يا ولدى.. قانون بلا إثبات حمق وترهات.. والمستشفى هنا لا تحمل بين جدرانها المجانين فقط.. لكن الحمقى أيضًا.. فانقذ نفسك من هذا المكان وقم بإنكار كل ما ادعيته وأعدك بأن أخرجك فوراً.



- سيدى الطبيب.. أشكرك على سعة صدرك وحسن الذوق فى معاملتى.. لكن أنا مازلت مصراً على ما قلته.. وقد تلوت عليك آيات القرآن الكريم التى تعضد رأيى.

- ما زلت مصراً؟.. إذاً.. رحمة بك.. سأدعك فى عنبر العلماء حيث تبقى مع أمثالك ممن يدعون الحكمة، وقد أثبت الطب جنونهم المطبق.. وهو مكان هادئ بخلاف ما كنت فيه الليلة.

- لا أدرى كيف تحاسبون الناس على معتقداتهم.. الله تعالى أمرنا بأن نترك لكل إنسان الحق فى حرية الاعتقاد.

- معك حق.. لكن أن يصل الاعتقاد إلى الخبل والتخريف والسخرية من الحق.. فهذا لا ينبغى السكوت عنه أبداً.

خرج من حجرة رئيس الأطباء وذهب به الممرضون إلى عنبر العلماء وأرشدوه إلى فراشه.. كان الجميع نائمين فى هدوء.. فاستسلم هو أيضًا للنوم.. ولكن فى الصباح الباكر أيقظته أصوات اصطكاك أوانى الفطور بأيدى زملائه وهم يقفون فى طابور أمام أحد طهاة المستشفى وهو يعطى كل واحد منهم نصيبه من طعام الفطور، وقد صاح فيه أحد الممرضين:

- هيا أيها الغلام.. قم أيها المجنون الصغير.. قم قبل أن يفوتك الفطور.

قام مسرعًا قبل أن تصطدم به صينيته التى قذفه بها الممرض، ووقف فى الطابور ينظر حوله للمكان الذى لم يتمكن من معاينته بالليل.

عنبـر طويل به أكثـر من عشريـن سريراً، فى صـفين بينهـما ممر واسع. علـى الجدران رسم المجـانين أشكالاً كثيرة ومتنوعة.. تصور أحلامهم فى الحرية أو نظرياتهم التى اعتـبرها الناس جنونًا.. أو تصـور عذاباتهم المريرة داخل المستشفى.

أخـذ ينظر لكل واحـد يخـرج مـن الطابور.. مـعظم الرفـاق هادئون جداً.. شـاردون.. يأكلون فى صـمت.. لكن أعجب ما يميـزهم أنهم لا يختلطون.. فكل واحد منفرد بنفسه.. ولم يجلس حتى الآن اثنان يأكلان سويًا.

وجاء عليه الدور.. فحظى بقـدر قليل جداً من الطعام حتى أن الطاهى صاح بالممرضين فى ضيق:

- لماذا لم تخبرونى أن العدد هنا قد زاد واحداً؟

جلس مـؤمن على فـراشـه يتـأمل فطوره.. لكن هذا

التأمل لم يستمر طويلاً فالجوع ذهب به مبكرًا.. ومر بعد قليل أحد خدام المستشفى فحمل الصوانى الفارغة، وتربع مؤمن على فراشه يراقب ما يجرى داخل عنبر العلماء. فما أن أغلق الباب حتى اقترب منه أحدهم وبكل لطافة وأدب سأله:

- هل.. هل أنت جديد هنا يا صاح؟

- نعم .. هذا أول يوم لى هنا.. وأنت.. هل.. هل أنت مجنون حقًا.

- أنا؟.. حاش.. أتتصور.. أتتخيل.. أن تجربة واحدة.. تجربة واحدة زجت بى إلى هذا المكان القذر المخيف.. تجربة وحيدة.

- تجربة.. أنت إذًا عالم حقًا.. وما التجربة التى جعلتك بين المجانين.

- القطة.. هى القطة..

- القطة؟!

- نعم يا صاحبى.. بينما أنا فى مكتبتى أتفحص المراجع العظمى فى فروع العلم إذ هتف بى هاتف.. النظرية الخاطئة.. أن للقطة سبع أرواح.

- نعم الناس يقولون ذلك بين الحين والآخر.. ماذا فعلت أنت.

- أثبتُّ والله أن للقطة روحًا واحدة فقط.. لقد أثبتُّ ذلك بالتجربة.

- ابتسم مؤمن ثم تجهم بعدما فهم وقال بدهشة:

- قتلت القطة إذن؟ هه؟!

- كان لدى قطة.. لم تتعرض للموت من قبل ولم يظهر لها أى أرواح سبع ولا خمس.. سكبت عليها النفط

وأشعلت فيها النار.. فماتت ولم أجد لها سوى روح واحدة صعدت إلى بارئها.

شرد مؤمن قليلاً وهو لا يدرى أيضحك أم يبكى، فترك صاحبه وقرر أن يقوم بجولة فى أنحاء العنبر ليتعرف عل رفاقه الجدد.. وبينما يتجول فى الممر الطويل الذى يشطر العنبر نصفين إذ قفز أحدهم من فراشه وهو متوتر خائف يشير لمؤمن بالتوقف من فوره.

- إياك.. احذر.. قف عندك.. هل جننت.. هل جننت.

وتوقف مؤمن مندهشًا من صنيع الرجل الذى اقترب منه بحذر وأمسك بيده:

- تعال.. تعال من هنا.. كيف كنت ستعبر.

- سأعبر.. أنا لا أرى عائقًا.

- يا إلهى.. ألا ترى أيها الأحمق نهاية الأرض.

- نهاية الأرض؟

- الأرض أيها الأحمق الصغير.. أنت الآن تقف على حافتها ولو تقدمت خطوة واحدة ستسقط فى الفضاء الشاسع.

- آه.. يا إلهى.. لا أدرى كيف أسموه بعنبر العلماء.. وأنا لم أر غير مجانين، دعنى يا صديقى ولا تخف.. ألا ترى أننى أتبع البرميل.

- البرميل.؟!.. البرميل.. نعم نعم.. أنت ستركب فى البرميل.

- أنت رائع.

- لكن البرميل لا يمكنه السباحة فى الفضاء.

- لا تقلق.. سأكتب عليه بالطباشير كلمة قارب فيسبح.



-نعم نعم.. يا إلهى.. وإذا.. وإذا علا الموج واشتدت العاصفة سيغرق بك القارب.

- لا تقلق.. سأكتب عليه بالطباشير كلمة غواصة فيغوص فى الأعماق.

- ولكن.. ولكن.. كيف سترجع مرة أخرى من الأعماق أيها الغلام..

- لا شىء.. الأثر بسيط.. سيمسح الماء الطباشير.. فأعود مرة أخرى للبرميل.

- هاهاها..هاهاها.. يا إلهى.. كيف لم أفكر فى هذا الحل.. أنت أعقل من كل هؤلاء المجانين.. أنت غلام رائع.

- هل تسمح لى الآن بالمرور يا سيدى.

- بكل سرور.. لكن كن حذراً.. مع السلامة.. مع السلامة..

- مر من أمـامه وهو يكتم ابتسـامة ملحة فـرأى أحدهم ممسكًا بالهواء كأنه فرشاة رسم يرسم بها فى الفراغ:
- سيدى.. ماذا ترسم ياسيدى..
- أرسم.. أنا لا أرسم يا بنى.. هل ترى أمامك رسمًا. فى الحقيقة.. أنا لا أرى رسمًا ولا ريشًا ولا زيتًا.
- إنما ترى الحصان.
- الحصان؟..أ..نعم نعم.. الحصان!! فى الحقيقة لا أراه يا سيدى.
- أنا أمسح شعره بالفرشاة...

وفجأة جاء واحد آخر وسحب مؤمن من ذراعه وهو يبتسم ابتسامة رزينة وقال:

- لا تراع أيها الصبى.. هاهاهـا.. هذا المجنون يتخيل أن لديه حصان.
- أمر عجيب ياسيدى.. كيف يهيىء للعقل هذا؟

- لا تحزن.. تعال .. أرى أنك عاقل مثلى.. أنا هنا أيضًا مظلوم تمامًا مثلك.

- أنا سعيد أن عثرت أخيراً على أحد العقلاء.

اقترب الرجل من مؤمن وهمس فى أذنه:

- هل تريـد الخـــروج من هذا المكان الســـيئ.. أنا لدى طريقة سهلة .

- حقًا يا سيدى؟ .. هل تعرف سبيلاً للخروج من هنا.

- الأمر بسيط.. تعال... وفجأة قفز الرجل فوق السرير كأنه يمتطى صهوة جواد وصاح فى مؤمن:

- هيا يا غلام.. اقفز خلفى على الحصان قبل أن تداهمنا جيوش العدو

- ضرب مـؤمن على جبـهتـه ثم انفجر ضـاحكا.. لكن الرجل قفز إليه ونهره بشدة وجذبه من ذراعه قائلاً:

قلت لك اقفز إلى صهوة الحصان.. هيا ولا تعارضنى. وهكذا ظل ينتقل من مجنون إلى آخر، كل واحد منهم يتصور أشياءً وهمية.. منهم الذى يبكى ثم يضحك ومنهم الذى ينفجر مقسمًا بأغلظ الإيمان أنه استطاع تحويل النحاس كيميائيًا إلى معدن الذهب.. ومنهم من هيأ له عقله أنه متمكن من تهجين الحمار والإنسان.. ويحكى عن مسخ برأس إنسان وجسم حمار أو حصان.. الكل فى خبل.. المستشفى فى والحقيقة تأوى بين جدرانها أهل الجنون والخبل.

كل من بالعنبر نالوا من مؤمن، كلهم حاول إقناعه بحجته إلا رجلاً واحداً.. شيخ له لحية بيضاء.. كان الوحيد الهادئ الذى لا يتكلم ويكتفى بين الحين والآخر بابتسامة حين يرى أحد الرفاق يتحلى بجنونه.

كان يجلس فى فراشه الأخيـر فى نهاية العنبر يكتفى بالمراقبة.. أراد مؤمن أن يكمل فكرته عن الجـميع، فاتجه إليه.. وجلس أمامه على الفراش وقال له:

– وأنت.. وأنت يا سـيدى.. ماذا ترى حـولك؟.. هل ترى أشباحًا أم اخترعت آلة تصنع من التراب ماسًا.

ابتسم الرجل فى هدوء، ونظر فى عينى مؤمن وقال له:

– أنت ماذا ترى؟.. أترانى عاقلاً أم مجنونا.

– فى الحقيقة لم أر عاقلاً واحدًا فى هذا المكان كله.

– إذًا اعتبرنى أنا أيضًا مجنونًا مثلهم.. أنا حقًا مجنون..

أخذ مـؤمن يضحك منتظرًا من الشـيخ أن يصدر تصـرفًا كمـا حدث مع الجـميع، لكن الرجـل مازال يتحدث بلسان الحكيم العاقل:

كل هؤلاء المرضى يحتاجون إلى العلاج ما عدا أنت أيها الغلام.. أرى أن تصرفاتك وسلوكك ينمان أحمق العقل لا الجنون.. فلماذا جاءوا بك؟.

- فى الحقيقة لا أدرى.. هل أسترسل معك فى الحديث ثم أكتشف فى النهاية أنك جالس على طرف بحيرة تكلم السمك ..

ضحك الشيخ وقال:

اطمئن.. بعد أن تخبرنى قصتك سأحكى لك حكايتى ولك فى النهاية أن تحكم علىّ إما بالجنون أم العقل الراجح.. تنهد مؤمن وأخذ يخبر الشيخ بقصته وهو بين الحين والآخر يتوقع تصرفًا جنونيًا منه يجبره على الندم.. لكن الشيخ استمع إليه باهتمام وأخذ يناقشه فى نظريته عن دوران الأرض مناقشة موضوعية مثمرة.. حتى تلاشى عنده تمامًا الظن بأنه من ضمن هؤلاء المجانين.

- والآن أخبرنى يا سيدى.. ما الذى فعلته حتى أتوا بك إلى هذا المكان.

تنهد الشيخ وقال بنبرة حزينة:

- حدث معى مثلما حدث معك بالضبط.. أتيت لهم بأخبار الأزمنة التى لم تأت بعد... وحذرتهم من كوارث الزمان الآتى... فاتهمونى بادعاء النبوة وأنا لم أدع يومًا أننى نبى.. ورفضوا كل ما قلته جملة وتفصيلاً، واتهمونى فى نهاية الأمر بالجنون وأودعونى هذا العنبر الوضيع.

أراد مؤمن فى نهاية الأمر أن يعرف السبب والقصة.. لكن الممرض فتح الباب برفقة الطغاة، ودخلوا وقاموا بتوجيه كل واحد إلى مكانه ليتم توزيع وجبة الغداء عليهم.



وبعد الغداء كان على الجميع الخروج إلى حديقة المستشفى للترويح عن المجانين.

وفرح بعضهم بالحرية اليومية، وانطلقوا فى أنحاء الحديقة، بينما اكتفى البعض بالجلوس تحت الأشجار الباسقة.. أما مؤمن فلازم الشيخ الذى كان مستعداً لإخباره بحقيقة السبب الذى من أجله اتهموه بالجنون.. فجلسا فى ظل أيكة، وكان مؤمن منتبهًا سعيدًا، حيث عثر على عاقل واحد يشاركه أمره:

- أخبرنى يا سيدى... أنا منتظر.

- اقترب الزمان الأخير يا مؤمن... دنت الساعة... وحانت الملاحم والفتن لكبرى.

- سيدى... ماذا هناك؟

- هذه هى القضية يا مؤمن يا ولدى... نحن على مرمى حجر من زمن ترى الناس فيه أضاعوا الصلاة... وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكبائر وأكلوا الربا وأخذوا الرشى... وشيدوا البناء... واتبعوا الهوى.. وباعوا الدين بالدنيا... واتخذوا القرآن مزامير.. واتخذوا جلود السباع صفاقا.. والمساجد طرقًا.. والحرير لباسًا.. وكثر الجور.. وفشا الزنا.. وتهاونوا بالطلاق.. واؤتمن الخائن.. وخوِّن الأمين:. وصار المطر قيظًا.. والولد غيظًا.. وأمراء فجرة.. ووزراء كذبة.. وأمناء خونة.. وعرفاء ظلمة.. وقلَّت العلماء.. وكثرت القراء.. وقلّت الفقهاء... وحليت المصاحف.. وزخرفت المساجد.. وطولت المنابر..

وفسدت القلوب.. واتخذوا القينات.. واستحلت المعازف.. وشربت الخمور.. وعطلت الحدود.. ونقصت الشهور.. ونقضت المواثيق.. وشاركت المرأة زوجها فى التجارة.. وركب النساء البراذين.. وتشبهت النساء بالرجال والرجال بالنساء... ويُحلف بغير الله.. ويشهد الرجل من غير أن يستشهد.. وكانت الزكاة مغرمًا.. والأمانة مغنمًا.. وسب آخر الأمة أولها.. وأكرم الرجل اتقاء شره.. وكثرت الشرط.. وصعد الجهال المنابر.. ولبس الرجال التيجان.. وضيقت الطرقات وشيد البناء.. واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء.. وكثرت خطباء منابرهم.. وركن علماؤهم إلى ولاتهم .. فأحلوا لهم

الحرام وحرموا عليهم الحلال.. وأفتوهم بما يشتهون.. وتعلم علماؤهم العلم ليجلبوا به دنانيرهم ودراهمهم.. واتخذوا القرآن تجارة.. وضيعوا حق الله فى أموالهم.. وصارت أموالهم عند شرارهم.. وقطعوا أرحامهم.. وشربوا الخمور فى أنديتهم.. ولعبوا الميسر.. وضربوا بالطبول والمعزفة والمزامير.. وإذا منعوا محاويجهم زكاتهم.. ورأوها مغرمًا.. وإذا قتل البرىء ليغيظ العامه بقتله.. وإذا اختلفت أهواؤهم.. وصار العطاء فى العبيد والسقاط.. وطفف المكائل والموازين ووليت أمورهم سفهاؤهم..

– سيدى بالله عليك.. كفى.. ففى ما قلت ما يكفى.. حسبك

- هل سمعت هذا الغلام من قبل يا مؤمن؟

- شىء من هذا اليسير.. لكن.. ما بال الناس الآن يحبسونك بتهمة الجنون على كلام روى عن النبى ﷺ؟!.

- لا يا مؤمن.. ليس لهذا اتهمونى.. بل أنا أمهد لك حتى تفهمنى.. وأقول لك إن الذى سيصل بالناس من الرزايا السابقة وغيرها سيكون باعثًا على حلول العذاب بهم وستظهر الفتن والملاحم والزلازل.

- ما زلت حتى الآن حائراً يا سيدى الشيخ فى فتنة سيبعثها الله تعالى على الناس حتى تجعل الحليم منهم حيران.

- كانت هذه المقاطعة العفوية من مؤمن كفيلة بجعل الشيخ ينتفض فى مكانه، بل يقف وهو يمد يده ليصافح مؤمن وهو يقول فى دهشة وتوتر:

- لقد أصبت لب القضية يا مؤمن.. أصبحت والله فى سرعة فهمى.

صافحه مؤمن ولكن بدهشة وتعجب شديد وقال:

- مع أننى لا أفهم ما ترمى إليه حتى الآن سيدى الشيخ.

- اجلس اجلس... إنها الفتنة التى ستجعل الحليم حيران.

- هى التى بسببها أدخلوك مستشفى المجانين.

- نعم نعم... على مدار عمرى وأنا أحفظ الكتب وأدرس الحديث وتفسير آيات القرآن... فلم يستوقفنى شىء كما استوقفتنى حيرة الحليم تلك... كنت أخشى أن تصيب هذه الفتنة أهل الإسلام فى الأزمنة القادمة... إلى أن أدركت الكارثة يا مؤمن... فذات مرة وأنا أتفحص مخطوطات قديمة استوقفنى حديث رواه البخارى عن عوف بن مالك قال: أتيت الرسول ﷺ فى غزوة تبوك.. وهو فى قبة من أدم فقال: «أعدد ستًا بين يدى الساعة.. موتى.. ثم فتح بيت المقدس.. ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم.. ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا.. ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب

إلا دخلته.. ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون.. فيأتوكم تحت ثمانين غاية.. تحت كل غاية اثنا عشر ألفا.

- معذرة يا سيدى... تقصد أنك عثرت فى هذا الحديث على مسألة الفتنة التى تدخل كل بيت من بيوت العرب.

- هى يا مؤمن... هى... والله إنى لفى عجب من ذكائك.

- لكن... بعض الأحاديث يا سيدى...

- لا... لا تكمل، وإياك أن تكذب على رسول الله ﷺ.

- حاش يا سيدى.. حاش... فتنة نعم... أن تصيب العرب نعم... لكن التحديد هنا يجعل الأمر صعب التصور.. كل بيت من بيوت العرب؟!

- الحق معك في ألا تصدق يا مؤمن... لكن الحديث صحيح.. وما أخبر عنه النبي ﷺ صحيح.. لن تجد بيتًا من بيوت العرب إلا ووصلته هذه الفتنة.

- سبحان الله... ألا يوجد ساعتها بيت واحد من بيوت العرب فيه رجل مسلم يخاف الله فيمنع هذه الفتنة عن بيته وأهله.

ضحك الشيخ وربت على كتف مؤمن وقال:

- ألم أقل لك... إنها الفتنة التي يبعثها الله تعالى على الناس فتجعل الحليم فيهم حيران... حتى الصالحون... والعبَّاد... حتى العلماء والفقهاء... سيصيبهم في أول الأمر حيرة.. لا يدرون ماذا عليهم

فعله.. ثم يقومون جميعًا بإدخال هذه الفتنة إلى بيوتهم بإرادتهم.

- يا إلهى... يا ربى... ماذا تقول يا سيدى.. أعتقد.. أعتقد أن لهم بعض الحق إذ لم يفهموك فوضعوك فى هذا المستشفى.

ضحك الشيخ حتى بدت نواجذه ثم قال:

- ألم أقل لك... أنت أيضًا حائر.. هاها ها.. هاهاها

- سيدى.. ماذا تقول؟ ثم... ثم.. ثم كيف بالله عليك عرفت.. هل اطلعت على الغيب أم ماذا حتى تؤكد كلامك العجيب هذا.

- أنت لا تعرف يا مؤمن.. لا تعرف أن فى الأزمان القادمة ستحدث عجائب لا يتصورها عقل...

سيعطى الله للناس أبصارًا فوق أبصارهم وسمعًا فوق سمعهم.. وأيضا أفئدة غير أفئدتهم.

- ماذا؟

- هل تتمكن ونحن فى هذه المدينة الآن.. أن ترى وتعرف شيئًا يدور فى بلدك مصر.

- مستحيل.

- أهل الزمان القادم سيقدرون على ذلك.. وهذا ليس للخاصة.. بل للناس عامة.

- بدأت أرتاب فى أمرك سيدى الشيخ، عفوا.

- هل.. هل يمكنك أن تجرى محادثة الآن بينك وبين رجل فى آخر الأرض.

- ما... ما هذا الكلام.. ما هذا الذى تتفوه به يا شيخ...

- أهل الزمان القادم سيقدرون على ذلك... سيرى أحدهم الآخر ويعلمه وبينهما من المسافات ما تركب إليه الإبل الآن شهوراً طويلة.

- يبدو... يبدو أننى لن أعثر فى هذا المستشفى على عاقل واحد.

- لماذا.. لماذا لا تسألنى كيف عرفت كل هذا بدلا من أن تكون مثلهم وتتهمنى بالجنون... أقسم بالله الذى لا إله إلا هو أن كل ما أخبرتك به سيحدث.

- لا إله إلا الله... آمنت بالله العلى القدير... سأمنحك فرصة أخرى سيدى الشيخ...

- وإذا تيقنت يا مؤمن من أخبارى وآمنت بصحتها؛ هل تساعدنى فى الهرب من هنا.

- الهرب؟

- نعم... ما أخبرتك عنه هو الفتنة التى ستجعل الحليم حيران... ومازال لدى أمل كبير أن نلحق بالسلسلة قبل أن تذوب فى الجحيم.. فننقذ أهل الإسلام منها.

- سلسلة؟ يا ربى.. وأى جحيم يا رجل... لا تجعل صبرى ينفد بالله عليك.

- اسمع يا مؤمن... لقد انتهت فترة الفسحة وسيعودون بنا إلى العنبر بعد قليل.. بالليل.. لا تنم.. واجلس معى وسأخبرك ببقية الأمر كله.

- ومر اليوم... وتناول مؤمن دواءً رغم أنفه... ثم العشاء.. ثم لما أُغلقت الأبواب أسرع إلى الشيخ

وجلس معه لا يرى أحدهما الآخر من شدة الظلام:

- أشياء كثيرة مهمة في رأسي... الفتنة والحيرة... السمع والبصر.. السلسلة والجحيم.. مواضيع شتى.. لم أعد أفهم أى شيء.

- لقد وعدتنى بمساعدتى على الهرب من هنا أولا.

- نعم... نعم... لكن إذا أقنعتنى يا سيدى.

- مخطوطة قديمة.. عثرت عليها مطوية فى أحد نسخ العهد القديم.. التوراة... عثرت فيها على كل ما أخبرتك به... القضية ليست فى التقدم الذى سيحصل فى العالم ولكن فى سوء استخدامه.. سيكون صندوقًا من الزجاج.

- صندوق من الزجاج؟

- نعم.. هو أول الفتنة سيشتريه الرجل ويدخل إلى بيته.. ثم يأتى بعد ذلك من يشترى صندوقًا آخر من الزجاج.. هو أشد فتكا من الصندوق الأول.. أما الفتنة فى ذلك: أن لهما عن المنافع ما لا يمكن أن تحصيه.. ولكن فى ذات الوقت فيهما إثم كبير.. وعظيم.

- الخمر والميسر.

- نعم.. تمام.. فعلى الرغم من بُعد الشبه إلا أن النتيجة واحدة... الغواية.. انتشار الزنا والزناة.. ودخول البغاء كل بيت، فلا ينام أهل البيت كل الليلة إلا وقد تركوا عبادة الله إلى قتل الوقت أمام أهل الفجور... يشاهدونهم.. ثم يأتى وقت يفعلون مثلهم.

- يشاهدون ذلك فى الصندوق الزجاجى؟

- بالضبط.. بل ويكلونهم.. ويرونهم ثم يكونون مثلهم.

- سبحان الله وأعوذ بالله... فما هو وجه الفائدة والنفع إذاً من ذلك.

- سيصبح اعتماد المرء فى الحياة على هذه الصناديق الزجاجية اعتماداً كلياً، فهى كما تنقل الفساد.. تنقل المعلومات بسرعة البرق.. ستنقل الكتب وحتى القرآن والقراء.. حتى العلم والعلماء.. حتى أخبار ما يحدث فى آخر الأرض تعرفها فى التو واللحظة، وتحقق الاتصال بين الناس من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

- يا إلهى... يا إلهى... يا لها من فتنة.. يا لها من فتنة.. هكذا يكون كلامك صحيحًا يا سيدى الشيخ.. سينخدع بنفعها كل إنسان.

- بالضبط.. ثم ينكوى بنار إثمها وضررها.

- وما العمل.. ما العمل.

- كل ليلة أرى فى منامى أحلامًا مزعجة يا مؤمن.. أرى أهل الإسلام يعبدون هذه الصناديق.. يجلسون أمامها خاشعين زمنًا لا يجلسون مثله بين يدى الله.. يضيعون الصلاة من أجلها.. ينفقون كل ما لديهم من أموال فى سبيلها.. يطلِّق الرجل زوجته ويتمتع بما فى الصناديق من نساء عاريات يفعلن الرذيلة.. يكثر الطلاق وتخرب البيوت.. وينام الشباب

متعبين بسببها فلا يعملون ولا يتدارسون ولا يصلون.

- أعوذ بالله من شر هذه الأحلام... هكذا عرف الشيطان من أين تؤكل الكتف.

- مؤمن.. لقد وعدتنى.. فهل أنت وفىٌّ بالعهد.

- إن شاء الله.. إن شاء الله.

وفجأة بينما الحديث يدور بينهما استيقظ أحد المرضى على صوتهما فاقترب فى الظلام الدامس من مؤمن وقال له:

- أخبرنى يا ولد.. هل يمكن أن تتجزأ نية المرء.

- ماذا؟

تدخل الشيخ ونصح مؤمن بادعاء النوم قائلا له:

- لن تنتهى هذه التخاريف يا مؤمن.. فهل أنت راض أن تكون بين هؤلاء.. اسمع.. اخلد للنوم وفكر فى طريقه نهرب بها من هنا.

- لن أنام يا سيدى.. فخطة الهروب جاهزة.

- ماذا؟.. بالله عليك؟

- بينما كنا نتجول اليوم فى أنحاء المستشفى واتتنى الفكرة.. هل أنت مستعد الآن.

- نعم.. نعم.

قالها الشيخ وقد انتفض جسده كأنما عاد شابا من فرحته وأخذ يلملم حاجياته:

- سيدى... أأجد فى حوزتك شىء حاد رفيع.

تمكن مؤمن من استعمال دبوس من دبابيس الورق التى كانت بحوزة الشيخ من فتح الباب والتسلل وهو

معه خارج العنبر حيث ساعدهما الظلام الحالك على المرور من بين أيدى الحراس النائمين.. وبدلا من التوجه إلى سور المستشفى الشاهق أو البوابة المدججة بالحرس، ذهب مؤمن بصاحبه إلى مقلب القمامة الخاص بالمستشفى قفزا إلى العربة التى تنقل القمامة خارج المستشفى كل صباح وتغطيا بالأوراق والأسمال البالية فكان مبيتهما هذه الليلة مرهقًا.. فلما شقشق الصبح جاء العمال فألقوا فوقهما كمًا كبيرًا من القمامة.. وخرج أحدهم بالعربة دون أن يفطن أحدٌ من حراس المستشفى أن تحت هذه القمامة يرقد مؤمن والشيخ يتنفسان بصعوبة انتظارا للفرج.

وعلى مسافة كبيرة أفرغ الرجل حمولة العربة على مقلب كبير للقمامة وعاد من حيث أتى، فقام مؤمن وصاحبه ينفضان ملابسهما مما علق بها من سوء وجريا يهربان خارج المدينة قبل أن يبدأ الناس فى البحث عنهما.

فلما أحسا بالأمان استراحا، وعرجا بعد ذلك على قرية فابتاعا منها بغلين وحملا عليهما بعض الزاد ومؤمن ينتظر التوجيه من الشيخ:

- ها قد أصبحنا فى أمان ومعنا الركوبة والزاد.. أين تريدنا أن نذهب يا سيدى؟

- مسيرة شهرين هنا يا مؤمن.. انظر.. خلف هذه الجبال التى تلوح فى الأفق.. سنجد بغيتنا.

لم يتردد مؤمن لحظة.. فالرجل يدرك معنى ما يسعى إليه ويعرف تمامًا ما قد يواجهه من صعاب ومشاق.

يوم وراء يوم.. شمس تتلو شمسًا وليل يزحف خلف ليل وصحراء جافة.. وحر شديد.. الجبال التى تلوح فى الأفق كأنها ضباب مازالت بعيدة.. كأنها تبتعد كلما تقدما نحوها.

وكان الشيخ صادقًا.. فالشهر هو الوقت الذى لزمهما حتى يصلا إلى الجبال البعيدة حيث الضباب الكثيف والريح المصرصرة.

- مؤمن.. نحن هنا فى نهاية الأرض.

- نهاية الأرض.

- لا يطيق إنسان العيش هنا.. تماسك وساعدنى فلم أكن إلا شابا جلداً عندما جئت إلى هنا آخر مرة.. سنتسلق هذا الجبل حتى غار قرب ربوته.

- وماذا سنجد فى أعلى الجبل.. ماذا يوجد فى الغار.

- ستطل على مشهد لم ولن تر مثله فى حياتك... الريح الباردة الشديدة المحملة ببخار الماء المثلج تجعل الجليد يحيط بلحية الشيخ وحاجبى مؤمن.. إنه يتكثف حتى على فتحتى الأنف فيكاد يسدها.. الصقيع لا يطاق.. الأمر يحتاج إلى قوة وصبر لا يتحملهما أحد.

شق ذلك على مؤمن وهو يرى الصخور الحرة تتقاذفها الرياح وهو يتشبث بأصابع زرقاء من شدة الصقيع:

- سيدى.. لا أقدر، لا أقدر.. لماذا لم تقدر وأنت شاب.

قال الشيخ والصقيع يرجف بصوته ومفاصله.

- جئت مرة وحدى.. ولما رجعت لأحضر العون.. رفض كل من دعوته.

- إلا أنا.. أنا الذى وافقت فقط.

- لكن للأسف وأنا الآن شيخ لا قدرة لى على تسلق الجبل.

تقاعس مؤمن وتراجع عن مساعدة صاحبه.. وفى كوة كبيرة أخذه ودخلا يحتميان من شدة البرودة والريح.. حيث كانت أكثر هدوءاً ورحمة:

- مؤمن.. أنا.. أنا لن أتمكن من الذهاب معك.. اذهب أنت وحدك.

- وأنت.

- أنا... أنا سأبقى هنا فى هذه المغارة.. سأنتظرك حتى ترجع.

- وما الذى علىَّ عمله عندما أصل إلى ربوة الجبل.

- لن أكون أذكى منك يا مؤمن.. لن أضيع الوقت فى الشرح.. عندما تصل ستعرف كل شىء.

كانت قناعة وكان عزمًا أكيدًا من مؤمن أن يترك صاحبه الضعيف الواهن ويكمل المشوار وحده.. على غير هدى فيما سيراه وما ينبغى عليه عمله. إنه بطل

قـديم... تمرس فى مغـامرات كـثيـرة سابقـة على تسلق الجبال بالرغم من أن هذه المرة.. الأمر أشد وعورة وأكثر خطورة.

فـالجليـد يهـبط فى أكـوام يـتلو بعـضـهـا بعـضـا.. والصـخـور وعـرة حـادة.. وقـد ترك مـا بقى له من زاد وغطاء للشيخ حتى يواجه الجوع والبرد.

الجبل يتحداه.. ولكن فضوله يدفـعه ليعرف شيئًا عن المستقبل والخطر الذى يحيق بالأمة.

وم ليلة ونهـارها.. حـتى لاحت له قـمـة الجـبل

فـتنفسر عـداء وكـان فى حـالة مـزرية وقـد نال منه

التعب و .. لكن الفضـول والنجاح لا يفـتران عن

دعمه وإمداده بالقوة.

وقفـز من فوق صـخرة ليجـد نفسه على عـتبـة الغار الذى أخـبـره به الشيـخ.. انتصب علـى بابه وهو ينفض يديه من التراب والثلج.

الغار تعلوه قمة الجبل فهى سقفه.. مظلم، يأتى ريح من داخله كأنه يتنـفس. دخل على مهل وخبـرة الشيخ السـابقة تمنحـه بعض الشـجاعـة فى المواجـهة.. بينمـا يتعمق للداخل.. انقشع الظلام تدريجيًا.. وابتعد صرير الريح العـاصـفـة خارج الجـبل حـتى أصـبح الصـمت مرعبًا.

النور يأتى مـن بطن الغـار.. توجـه نحـوه ليـجـد بلاطة من الرخـام هى نهـاية المطـاف تسد الـطـريق تشع بالنـور كـأنهـا من أنفس الأحـجـار الكريمـة..

اقترب منها حتى أصبح كأنه هو الذى يشع بالضوء.. رأى كلمات محفورة على سطحها.. قرأها بشغف:

«لا يعلم الغيب إلا الله.. لا تمد يدك وإلا انفتح لك باب إلى المستقبل.. إنه باب الفتن.. ستعيش عمرك نادمًا.. يعذبك ضميرك إذا لم تقدر على سد فم الفتنة.. فأنصحك أن ترجع أدراجك سالما.. يرتاح البال».

تأكد له أن الشيخ من قبل قد مد يده وفتح باب المستقبل.. فمد يده بلا تردد.. فغاصت أصابعه فى جسم الرخام.. ثم أخذ نورها يومض وتشتد حرارتها وبدأت تسيل كالزبد فوق النار... وإذ بأصوات بدأت

تنبعث من خلفـها... إنها أصوات صـراخ وأنين وفزع عظيـمـة. صـحـب ذلك برق أزرق خـاطف.. واتضح وجـود مركـبة غـريبـة الشكل.. لم ير مـثلها من قـبل، عـبـارة عن كـرسى واحـد قـائـم على عـجـلات أربع صغيرة.. لكن هذه العجلات ليست حديدية أو خشبية ولا من أى مادة سوى أنها نار برتقالية تدور بهدوء فى حـركـة دائرية... وليس أمـام هذه العـربة شىء سـوى ضـباب مـائى تتـحرك فـيه ألـوان قوس قـزح كرغـوة صابون هائلة. سأل نفسه:

- لو جـلسـت على هـذا الكـرسى النـارى... فـأين سـأذهـب؟.. لكن لا مـحـيص من التـجـربة... إنه المجهول الرهيب... هيا توكل على الله.

تقدم وما إن جلس على الكرسى حتى التف حول خصره حزام... ثم انكفأ الكرسى به إلى الخلف مما أثار فزعه... فقد أصبح فى وضع المستلقى على ظهره الناظر لأعلى... ودارت العجلات النارية مشتعلة فى سرعة رهيبة... وانطلقت به العربة تخترق الضباب القزحى... محدثة صوت اصطدام رهيب وفرقعة كبيرة، أما السماء فكانت كشاشة سينما طويلة.. لا تنتهى.. تعرض عليها الأحداث بسرعة كبيرة وهو يتقدم ويحملق فيما يرى، بينما نسى أنه فى الأصل يعتلى هذه المركبة السريعة..

رأى فى السماء أشياءً ستحدث فى نهاية القرن العشرين الميلادى وبداية القرن الحادى والعشرين...

الزمن الذى نحـيـا فـيـه الآن... ونسى تمامًـا أنه يركب شيـئًا، وبدأ يتابـع بهدوء ما يرى أمـامه... رأى الأرض من أعلى واقترب منها... وتعرَّت البـيوت عن ساكنيها فـرأى النـاس وهم يجلسـون فـيـهـا أمـام شـاشـات الإنترنت... كانوا كالأصنام... رأى الملايين من العرب كأنهـم فى عبادة يضـيعـون مئـات الساعات فى الـلهو السرى. سـمع الأذان فى المساجـد فلا يقـوم أحد لأداء الصلاة.. رأى الرجال يسـيئون معاملة زوجـاتهم وكثُر الطلاق... ثم عـاد الرجال يـجلسون أمـام الكمـبيـوتر ويضيـعون الصـلاة المكتوبة... رأى الشبـاب يضيـعون صلاة الـليل وصلاة الفـجر... بل مـستيـقظون... رأى الصهاينة فى معبدهم وهم يقيـمون حفلاً كبيراً... يهنئ

بعضهم بعضًا على نجاح خطتهم فى إغواء العرب والمسلمين... رأى إبليس يقذف المسلمين بسهام بشكل لا ينقطع وهو يضحك فرحًا أنها تصيبهم فى مقتل، ورأى خطيبًا على المنبر يقول: «أيها الناس، النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فاتقوا الله ولا تنظروا إلى المحرمات على شاشات الإنترنت».. ثم يرى الناس يهزون رءوسهم موافقين ثم يخرجون من المسجد مسرعين إلى الفتنة ويقدم كل واحد أهله لتصيبهم سهام إبليس... أحس بالفزع والقلق وبدأت عيناه فى البكاء... فلما أعمته الدموع عن النظر توقف الكرسى فجأة وانحل الحزام عن خاصريه... وقذفته السرعة حيث اخترق حاجزًا آخر من الضباب وسقط على

شفير حفرة كبيرة... حفرة عميقة بعيدة الغور فى اتساعها أكبر من فوهة بركان عظيم... وهى فى أسفلها تتقد ناراً وتستعر بالحمم منقبضة منبسطة كأنها تشفط هذه السلسلة العظيمة التى تنزل من أعلى... نظر لأعلى فإذا الناس على شفير يحاولون إنقاذ أنفسهم من السقوط فى الحفرة... فيتعلقون بالسلسلة التى تسحبهم وقد التصقوا بها إلى الفوهة الملتهبة بالنار.

وقف فى حالة من الفزع... إنهم الناس الذين رآهم منذ قليل وكأنه كان يعرفهم واحداً واحداً... كان حائراً... وعاجزاً... كيف يمكنه أن ينقذهم... نظر لأعلى مرة أخرى وهو يهتز من الحزن على هؤلاء الذين يتعلقون بالسلسلة فتسحبهم إلى قاع الجحيم...

فلمـا دقق النظر لأعلى... رأى من أين يأتون، فهـا هم قابعـون أمام شاشـات الفتنة ثم تذوب جـدران بيوتهم فـيسـقطون فـجـأة فى حالة من الفـزع... أمـا من ظل يصلى ويبـتعد عن الفـساد... فالجـدران حوله تتـقوى وتزداد متانة فيرتفع به بيته لأعلى، لأعلى بعيداً عن كل هذا.

وقف يسأل نفسه:

- مـاذا عـسـاى أن أفـعل... كـيـف أنقـذ كل هؤلاء من قومى؟.. لماذا أرادنى الشيخ أن آتى وأرى كل هذا الغم.

وبنيمـا هو كذلك إذ وجـد الشيخ يقف خلفـه منهكًا من التعب يربت على كتفه:

- سيدى الشيخ... كيف أتيت... ولم.

- لم أشأ أن أموت قبل أن أرى هذا مرة أخرى.

- إذاً... لماذا أحضرتنى وأنت إلى هنا... أنا عاجز عن فعل أى شىء.

تنهد الشيخ والدموع تنحدر بسرعة من عينيه وقال:

- مازلنا فى زماننا يا مؤمن... ويمكننا أن نحذر أهل المستقبل مما سيحيق بهم من فتنة.

- وما هذه السلسلة.

- السلسلة يا مؤمن هى الوهم أو أصل الفتنة فى الإنترنت... هى النفع الذى يتعلق به كل ممارس لهذا العمل... إنه يتذرع بها وما فيها من معلومات ثم ما تلبث هذه الحجة أن تسحبه وتجره وتوهن عزيمته وتجنف ماءه فلا يكون إلا فى نار يحترق ولا يرجع.

صاح مؤمن فى الناس فى الأعلى وصرخ فيهم وحذرهم... لكنهم مع ذلك مازالوا يتساقطون ثم يتعلقون بالسلسلة التى تسحبهم بهدوء إلى عمق النار:

- سيدى... يجب أن أقطع هذه السلسلة... يجب أن أثبت لأهل المستقبل أنها حجة واهية... وأن النفع فى الإنترنت يجر معه الأذى وغضب الله... يجب أن أقطع هذه السلسلة وليكن ما يكون.

لم يستمع له مؤمن... استل سيفه وجرى للخلف ثم تقدم بأقصى سرعته وقفز قفزة جبارة وأطاح بسيفه فى الهواء وضرب به السلسلة ضربة عنيفة.. فانكسر السيف ولم تذكر أو تنقطع السلسلة.. فهوى إلى قعر الحفرة وهو ينكسر بأم عينيه الحمم واللهيب والناس

وهم يحترقون.. والدخان الأسود.. وشهيق النار المخيف... كان يسقط بسرعة وأدرك أن هذه هى نهايته المحتومة.

وفجأة شعر بأن ظلاً كبيراً حال بينه وبين الحرارة الشديدة. فتح عينيه المغمضتين الباكيتين ليجد أنه مازال مستلقيًا على ظهره... على مشارف المدينة التى لم يدخلها بعد... وأن الظل ما هو إلا ظل الرجل السمين الذى جاءه فى أول هذه المغامرة... وكان واقفًا منحنيًا فوقه... نهض مؤمن جالسًا وقال له الرجل السمين وهو يمد إليه يده بنطاق ممتلئ بطعام تفوح رائحته اللذيذة وشراب طيب:

- تفضل يا ولدى... تفضل.

- أ... جزاك الله خيراً... عفواً... هل قابلتك من قبل..؟

ابتسم السمين بطيبة وقال له:

- يبدو أنك نمت نومًا طويلاً... معذرة لو غبت قليلاً... تذكر أنك أخبرتني شيئًا عن دوران الأرض.. وقلت لك إنني سأغيب قليلاً ثم أحضر لك بعض الطعام والزاد ليكون تذكارًا لك من مدينتنا.

لم يكن عليك أن تنام تحت قرص الشمس الحارق.

ابتسم مؤمن وتذكر الأمر وعلم أنه كان يحلم حلمًا طويلاً لكنه نظر إلى يده.. كان يحمل السيف ويا للعجب فالسقف كان مكسورًا... بل ومازالت آثار السلسلة الحارقة بادية على معدنه المنصهر.

شكر مؤمن للرجل كرمه وحـمل الطعام وقام يمشى بجانبه وهو يقول له:

- ها... أخبـرنى يا سـيدى.. هـل لديكم فى مـدينتكم مستشفى للمجانين؟

تمت بحمد الله تعالى



تعقيب

يظن بعض من قرأوا هذه المغامرة «مستشفى المجانين» أنني ادعو إلى مقاطعة «الإنترنت» أو التراجع عن مواكبة التطور التكنولوجي المعلوماتي.. لكن القصة صرخة تحذير مما تكتنفه هذه التكنولوجيا من خطر وفتن، فمازلنا بحاجة للاتصال بالآخرين لتأدية أعمالنا والاطمئنان على ذوينا في الخارج والحصول على المعلومات الغزيرة بأقل جهد وكلفة والقيام بصفقات والبيع والشراء.

وذلك أمر لا توفره بهذه السهولة سوى خدمة الإنترنت، لكن بالنظر إلى الوجه الآخر للعملة، بقدر الفائدة يكون الخطر والضرر... ومع ذلك يمكننا -إن لم نضع حلولاً في القصة للمشكلة- أن ننصح بتشديد المراقبة وحماية النشء خاصة فيما دون سن البلوغ... أما البالغون فأنصحهم بالاكتفاء بمطالعة شبكة الإنترنت من خلال المكتبات العامة والمدارس أو مقاهي الإنترنت المنتشرة في كل مكان ليظل المجتمع رقيبًا وحاميًا من التردي في هوة سحيقة اسمها «الخلوة مع الإنترنت» وكفى بالله رقيبًا وكفى به شهيدًا.

المؤلف


مغامرات مؤمن
أقوى سلسلة مغامرات ظهرت حتى الآن
بإجماع الآباء والأبناء